قُوَةُ الِاحْتِجَاجِ الْقُرَآنِيّ فِيْ كِتَابِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

Power of Qur'anic Argumentation in Nahj Al-Balagha

م.د. ريتا مالك علي
Prof.Dr. Rita Malek Ali

سوريا / جامعة تشرين/ كليّة الآداب / قسم اللّغة العربيّة.
Syria/ Tishreen University/ Department of Arabic

rittaali27@gmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

مُلَخَّصُ البحث:

يسعى البحث إلى الحديث عن بلاغة الاحتجاج القرآنيّ للإمام عليّ عليه السّلام بالقرآن الكريم في كتابه الشّريف "نهج البلاغة"، في قضايا دينيّة وحياتيّة وعلميّة مهمّة، وإثباته لها من القرآن الكريم، كاشفًا ورودها في الكتاب الشّريف قبل معرفة العامّة لها، مُفسّرًا لما جاءَ في القرآن الكريم عنها تفسيرًا دقيقًا وصحيحًا وواضحًا لكلّ المتسائلينَ عنها، والمشكّكينَ بحقيقةِ ورودها قبلًا في الكتاب المنزّل على الرّسول الكريم (ﷺ)، وهيَ (قضيّة الاحتجاج البلاغيّ في رؤية الله تعالى في نهج البلاغة، الاحتجاج البلاغي في قضيّة المحرّفين في الدّين، قوّة الاحتجاج البلاغيّ بحقيقة القرآن الكريم ومصطلحاته كتابًا سماويًّا منزّلًا على الرّسول الكريم (ﷺ)، قوّة الاحتجاج البلاغيّ في موضوع الاكتشافات العلميّة).

كما يقدّم البحث دراسة تحليليّة تفسيريّة لنماذج من خطب "نهج البلاغة" الّتي تناولت المواضيع السّابقة؛ محاولًا إظهار الجوانب الجماليّة الّتي كشفت عن بلاغة الإمام عليّ (عليه السّلام)، وأثر ذلك في الإنسان المتلقّي لبلاغته وحكمته في القضايا المتناولة بالدّراسة على مرّ الزّمان.

الكلمات المفتاحيّة: الاحتجاج، البلاغيّ، نهج البلاغة، القرآن الكريم.

Abstract :

This research aims to delve into the rhetorical prowess of Imam Ali (peace be upon him) in his seminal work, Nahj al-Balagha, as he employs Qur'anic arguments to substantiate significant religious, societal, and scientific issues. The study will demonstrate how these arguments were derived from the Qur'an and presented in Nahj al-Balagha prior to their widespread recognition, providing a precise, accurate, and comprehensible interpretation of the Quranic verses for those seeking clarification and for skeptics who doubt their earlier presence in the revealed scripture. Specific topics to be explored include the rhetorical argument for divine vision in Nahj al-Balagha, the rhetorical refutation of religious corruption, the strength of rhetorical arguments supporting the Quran's authenticity and unique terminology as a divine scripture, and the power of rhetoric in addressing scientific discoveries.

Furthermore, the research offers a comprehensive analysis and interpretation of selected sermons from Nahj al-Balagha that address the aforementioned topics. The study endeavors to highlight the aesthetic dimensions that reveal Imam Ali's (peace be upon him) rhetorical brilliance and to examine the impact of his eloquence and wisdom on the recipients of his message throughout history regarding the issues under investigation.

Keywords: Rhetorical argumentation, Nahj al-Balagha, The Glorious Qur'an

مقدّمة:

إنَّ لكتاب «نهج البلاغة» بما يحمل من خطب وأقوال، وشواهد بلاغيّة وقرآنيّة، وأمثال، أهمّيّةً كبرى في العلوم الشّرعية وعلوم اللّغة؛ إذ يحمل بين دفّتيه معارفَ إلهيّةً عظيمةً، ومنهجًا عظيمًا للأخلاق الفاضلة الّتي من شأنها أنْ تنظّم أكبر المجتمعات، وما يمتّ إلى العلوم النّظريّة والتّطبيقيّة بنواحيها كافّة، يقول الإمام عليّ (عليه السلام): «**عليكُم بكتابِ الله، فإنّهُ الحبل المتين، والنّور المُبين، والشّفاء النّافع، والرّيّ النّاقع، والعصمة للمُتمسّك والنّجاة للمُتعلّق، لا يعوجّ فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تخلقهُ كثرة الرّدّ، وولوج السّمع من قال به صدق، ومن عمل به سبق**»[1].

وقد كان لعلوم الشّريعة والعلوم الأخرى مساحة مهمّة فيه، وحازت على عنايته؛ ولذا فهو منهل للباحثين في الحكمة، والأدب، والتّفسير الصّحيح للقرآن الكريم، لاتّصافه بأرفع أساليب البلاغة والفصاحة. وتنبثق أهمّيّته في نسبته إلى إمام البلغاء، وما فيه من الخطب والكلمات الّتي ألقيت على عاتقه مسؤوليّات تفسير القرآن الكريم بعد النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

أهمّيّة البحث أهدافه:

تكمن أهمّيّة هذا البحث في تناوله موضوعًا مهمًّا، وهوَ موضوع بلاغة الإمام عليّ (عليه السلام) واحتجاجه من كتاب القرآن الكريم في مواضيع حياتيّة مهمّة متعلّقة بكلّ

ما يخصّ الإنسان، وتناولها بالتّفسير والتأويل والتّأكيد تناولًا لا يدعُ بعدهُ تساؤلًا ولا شكًّا لكلّ طالبي العلم والمعرفة بها، أو الّذين تعرّضوا لحقيقة الدّين الإسلاميّ وكتاب الله تعالى، وما جاءَ به من تعاليم مقدّسة ورفيعة في مختلف العلوم الدّينّة والدّنيويّة قبل أن يسبق إليها أحد.

المنهج المُتّبع في الدّراسة:

يعمد البحث في تناوله موضوع «بلاغة الاحتجاج القرآنيّ في كتاب نهج البلاغة» إلى اتّخاذ المنهج الوصفيّ التّحليليّ منهجًا ناظمًا له، لما لهذا المنهج من قدرة ومساحة كبيرة على البحث والتّفسير والتّأويل بناءً على مقتضيات البحث، والمواضيع المطروقة فيه، وإيلائها العناية المُناسبة من البحث والتأويل والتّحليل، وذلكَ ممّا جاءَ في الآيات الكريمات، والخُطَب المتعلّقة بالعنوانات والمواضيع المدروسة المُحتجّ بها.

أوّلًا - الاحتجاج القرآنيّ وبلاغته في نهج البلاغة:

إنَّ لأميرِ المؤمنين (عليه السلام) احتجاجاتٍ قرآنيّةً في موضوعاتٍ متعدّدة، واتّجاهات متباينة، فلم يعجزه الجواب عن كلّ ما سُئلَ عنه وفيه، ولم يستطع أحد أن يدحضَ حجّته ويسفّه برهانه، وراح النّاس يقصدونه، ويناقشونه في معتقداتهم، وكلّ ما يجول في أذهانهم وخلدهم من أفكار، ويتباحثون معه في مختلف قضاياهم، وهو ما جعله يملك القلوب والعقول معًا»[٢]، بفضل حكمته، وبفضل ما كان يتمتّع به من رحابةِ صدرٍ وحبٍّ للجميع، وسعةٍ في كلّ ما يُسأل عنه.

وقد فتح (عليه السلام) بابَ الحوار والسّؤال عن القرآن الكريم وكلّ ما يتعلّق بالشّريعة المُقدَّسة أمام الجماهير المُسلمة وبصورة علنيّة وعامّة دونما تردّد، حتّى في جوابِ مُخالفيه وأعدائه الحاقدين»[٣].

ولأنّه ذو «ذكاء حيّ، قدير، واسع، عميق لا تفوته أغوار، إذا هوَ عملَ في موضوعٍ أحاط به بُعدًا، فما يفلت منه جانب ولا يُظلم منه كثيرٌ أو قليل. وغاص عليه عمقًا، وقلّبه تقليبًا وعركهُ عركًا، وأدركَ منه أخفى الأسباب وأمعنها في الاختفاء، كما أدركَ أصدقَ النّتائج المترتّبة على تلكَ الأسباب، ما قرُب منها أدّ القرب، وما بعد أقصى البُعد»[٤].

وقد ورد في نهج البلاغة جملة من تفسير الآيات والألفاظ القرآنيّة، والدّلالات التّفسيريّة الواضحة والجليّة كما سيثبتها البحث، قد بلغت مبلغًا راقيًا عليًّا وعظيمًا حدّ إمكانيّة الإفادة من بعض شواهدِهِ أسسًا تمثّل قواعد أوليّة للجانب النّظري في تفسير القرآن الكريم، انطلاقًا من أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الأعرف بكتاب الله تعالى بعد الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فهوَ مَن كانَ الأذن الواعية للقرآن الكريم، وما فيه من أحكامٍ ودلالاتٍ عميقة، ولكلّ ما فيهِ من بيان صدق لكلّ مفردة أو تفصيل إجمال، وغير ذلك.

- بلاغة الاحتجاج القرآنيّ في قضيّة رؤية الله تعالى في كتاب «نهج البلاغة»:

الإمام عليّ (عليه السلام) بما يحمله من فكرٍ عظيم وحكمةٍ نيّرة استطاعَ في الكتاب الشّهير «نهج البلاغة» أنْ يوظّف بلاغتهُ المنقطعة النّظير في الاحتجاج لقضيّة عظيمة، وهي قضيّة رؤية الله تعالى، بعدَ اختلافِ المهتمّين بالدّين الإسلاميّ والدّاخلينَ فيه فيها، واختلاف بعض المسلمين أيضًا، فجاءت قوّة احتجاج الإمام عليّ (عليه السلام) في كتاب نهج البلاغة حدًّا فاصلًا في هذهِ المسألة، بوساطةِ ما جاءَ في القرآن الكريم من توضيحٍ لهذهِ القضيّة السّامية.

فبعدَ استشهاد النّبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بدأت الخلافات تنتشر بين المسلمين بشأن مسائل وقضايا عدّة في العقيدة الإسلاميّة، ومنها هذهِ القضيّة، «فكان مرجعهم في ذلك القول الفصل هو الإمام عليّ عليه السلام فكان يوضّح لهم ما اختلفوا فيه، ودليل

ذلك عندما سُئِلَ الإمام عليّ (عليه السلام) عن رؤيةِ الله، فأجابَ (عليه السلام): «**لا تُدركهُ العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان**»[٥].

وقد عمدَ الإمام عليّ (عليه السلام) ليس إلى الاحتجاج بالقرآن الكريم فحسب، للرّدّ والإجابة عن هذهِ المسألة، بل عمدَ إلى قوّة الاحتجاج به، وإلى آيٍ كريمات تثبت بالدّليل القاطع عدم إمكانيّة رؤية الله تعالى بالبصر والعين المجرّدة، مثبتًا أنْ لا أحد على وجه الخليقة استطاع ادّعاء ذلك، ولو كذبًا.

يقول الإمام عليّ (عليه السلام) في إحدى خطبهِ من كتاب نهج البلاغة في هذه المسألة: «**الحمد لله الّذي بطن خفيّات الأمور، ودلّت عليه أعلام الظّهور، امتنعَ عن عين البصير، فلا عين من لم يره ينكره، ولا قلب من أثبته يبصره**»[٦].

في هذه الخطبة الشّريفة كلام واضح وتأكيد قضيّة عدم إمكانيّة رؤية الله تعالى بالعين المجرّد؛ ففي قوله (عليه السلام): «**الّذي بطن خفيّات الأمور**»؛ أيْ: من علمَ بواطنها وحدهُ سبحانه، ودخل العقول منها. وفي قوله: «**ودلّت عليه أعلام الظّهور**»؛ يقصد بالأعلام ما يُهتدى به، ويدلّ على شيء، والمقصود بأعلام الظّهور الأدلّة الظّاهرة الّتي بها نهتدي إليه سبحانه من دون أنْ نراه، وهي كناية بالمستعار، ووجه المشابهة ما بينهما من الاشتراك في الهداية. وقد احتجّ الإمام عليّ (عليه السلام) على ذلك من القرآن الكريم، من قوله تعالى من سورة «الأعراف»: ﴿**قَالَ لَن تَرَانِي**﴾[٧]، ومن قوله تعالى من سورة «فُصّلت»: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٨].

وقد جاءت الآيتان الكريمتان اللّتان استشهد بهما الإمام (عليه السلام) مفسّرتين وموضّحتين لما أرادَ من كلامه عن الإشارات الدّالّة على وجود الله سبحانه دون رؤيته، ولمّا كانَ صدر الآية المذكورة إشارة إلى طريقة معرفة الله تعالى دون رؤيته، وهو قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ قال حينها في ذلك بعض العلماء: «وإنّه طريق الصّدّيقين الّذين يستشهدون به لا عليه؛ أيْ: يستدلّون بوجوده على وجود كلّ شيء إذ هو منه، ولا يستدلّون عليه بوجود شيء، بل هو أظهر وجودًا من كلّ شيء، فإنْ خفيَ مع ظهوره فلشدّةِ ظهوره، وظهورهُ سبب بُطونه»[٩].

أمّا في قول: «**امتنعَ على عين البصير**»، المقصود أنّه سبحانه جلّ وعلا ليس بمرئيّ بالعين المجرّدة مطلقًا، ومع ذلك فلا يمكن لمن لم يرَه مجرّدًا أنْ ينكرهُ، لدلالة كلّ شيء في الكون والحياة عليه وعلى ذاته الإلهيّة، كما أنّه بذلك يدلّ سبحانه على نفسه. وقد جاء احتجاج الإمام عليّ (عليه السلام) على هذه القضيّة من قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾[١٠]؛ فالله تعالى لا يصحّ إدراكه بحاسّة البصر، وفي ذلك قال «البحرانيّ»: «الباري تعالى هو غير جسم وغير ذي وضع، وكلّ ما كان كذلك، فيمتنع رؤيته بحاسّة البصر، فينتج أنّه تعالى ممتنع عن الرّؤية بحاسّة البصر»[١١].

وفي قوله: «**فلا عين من لم يره ينكره**» بلاغة كبيرة وقول عظيم وعميق المعنى، لا يدركه إلّا ذو اللّبّ النّقيّ، والوعي العميق بحقائق الأمور، والمتبصّر بالكون

وعظمة الخالق، والمقصود بذلك أنّه جلّ وعلا لا يُرى بالبصر، وبناءً عليه؛ فإنّ البصر الّذي لا يراه ولا يدركه لا يستطيع إنكار إبصاره من حيث الإدراك والإبصار المعنويّ، لا المادّيّ، ففطرته شاهدة على ظهور وجوده وتجلّيه سبحانه في جميع آثاره في هذه الدّنيا، وليست العين هنا ذات القيمة العظيمة في إبصار ذاته الإلهيّة، بل تكمن العظمة في إبصارها لهذه الذّات بجميع ما تراه من حولها، فجميع ما تراه هو من عظيم خلق الذّات الإلهيّة إبداعها، وأكبر شاهد ودليل على وجود هذه الذّات وتجلّيها في كلّ مكان وكلّ الأشياء من دون أنْ تدركها الأبصار مباشرةً وعلى شكل هيئةٍ مجسّدة.

أمّا في قوله: «**ولا قلب من أثبته يبصره**»؛ المقصود من قوله (عليه السلام) أنّه لا سبيل مطلقًا لكلّ من أثبت وجوده سبحانه أنْ يحيطَ علمًا بصفاته ودقائقه، والمعلومات المفصّلة عنه، فلا أحد يعلم حقيقة هذه الذّات الإلهيّة فعليًّا، فلا يمكن لأيّ شخص على وجه الخليقة رؤية هذه الصّفات الخاصّة بالذّات الإلهيّة، ولا إثبات لدى مخلوق على شيء من ذلك.

وقد قال كثير من علماء القرآن الكريم والتّفسير رأيهم في الخطبة الشّريفة، وما جاء فيها؛ يقول «الكاظميّ» في رأيه معلّقًا على الخطبة الشّريفة وما جاءَ فيها: «معنى ذلك أنّهُ منعَ مشاهدة الجوهر الإلهيّ بالرّؤية الخارجيّة الظّاهرة، لكنّ جميع الظّواهر لا تستطيع من جهة أخرى إلّا أن تكون أداةً تجلّ الإله؛ إذ تكون شاهدًا على إبداعه،

وتكشف شيئًا من حقيقته، ويكون ذلك واضحًا للعقل في حالتهِ المُعتادة، وحدثًا باهرًا للقلب المُستنير والمُطهَّر بذكر الله»[١٢].

كما يقول «ناصر مكارم الشّيرازيّ» في تعليقه على الخطبة الكريمة رأيه في هذه المسألة: «نعم، فآثارهُ واضحة في كلّ زاوية من زوايا عالم الوجود، ومنها ندرك وجوده المقدّس، ومع ذلك لا يمكن رؤيته بعين؛ لأنّ العين تختصّ بالأجسام ذات الزّمان والمكان والأجزاء والجهة، والله منزّه عن كلّ هذه الأمور»[١٣].

وقالَ (عليه السلام) في خطبٍ أخرى محتجًّا على عدم إمكانيّة رؤية الله تعالى بالأبصار: «**الحمدُ لله الذي لا تُدركهُ الشّواهد، ولا تحويهِ المشاهد، ولا تراهُ النّواظر، ولا تحجبهُ السّواتر، الدّالّ على قدمه بحدوثِ خلقه، وبحدوثِ خلقه على وجوده وباشتباههم على أنَّ لا شبهَ له**»[١٤]، والشّواهد ها هنا، «يريد بها الحواسّ»[١٥]، وسمّاها شواهد لحضورها، ولأنّها تشهد على ما تدركهُ وتثبتهُ عندَ العقل، والمُشاهد ها هنا المجالس والنّادي، يقال حضرت مشهدَ بني فلان؛ أيْ: ناديهم ومجتمعهم، ثمّ فسَّر اللّفظة الأولى وأبانَ عن مراده بها بقوله ﴿ولا تراه النّواظر﴾»[١٦]، وفسّر اللّفظة الثانية وأبانَ عن مرادها، فقالَ ﴿ولا تحجبهُ السّواتر﴾، ثمّ يستدلّ بعد ذلك بحدوث الأشياء على أنَّ له صفة أخرى لم تزل زائدة على مجرّد الذّاتيّة، وتلك الصّفة هي وجودهُ، وبذلك فقد اتّضح المراد.

وفي قوله (عليه السلام) «**وباشتباههم على أنَّ لا شبه له**» وذلك صحيح؛ لأنّه إذا ثبتَ أنَّ جسمًا ما مُحدث ثبتَ أنَّ سائرَ الأجسام محدثة، لأنّ الأجسام متماثلة، وكلّ ما صحّ على الشّيء صحَّ على مثله، فصارت دلالة الذّوات كلّها يشبه بعضها بعضًا، وهي محدثة، فلو كان الباري سبحانه يشبه شيئًا منها لكان مثلها، ولكانَ مُحدَثًا، لأنَّ حكمَ الشّيء حكم مثله، لكنّه تعالى ليسَ بمُحدَث، فليس بمُشابه لشيء منها؛ فقد صحّ بذلك قوله (عليه السلام) «**وباشتباههم على أنَّ لا شبه له**».

كما يقول في خطبةٍ أخرى له (عليه السلام): «**الْحَمْدُ للهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، الْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَةٍ**»[١٧].

وفي مقدّمتها يحمد الإمام (عليه السلام) وجود الله سبحانه، ويصفه بأنّهُ يُعرَف من غير أن تتعلّقَ الأبصار بذاته الإلهيّة، ويَخلِق من غيرِ تفكُّرٍ وتأنٍّ وتروٍّ فيما يقوم بخلقه.

وخلاصة الكلام في هذه القضيّة العظيمة التي تبدّت عن قوّة بلاغةِ واحتجاجِ الإمام عليّ (عليه السلام) بالقرآن الكريم فيها أنّ الإمام عليًّا (عليه السلام) وضّح مسألةً عظيمة الشّأن اختلف فيها المفسّرون والعلماء، كما تضاربت الآراء بشأنها بين العامّة، لتأتيَ قوّة بلاغةِ احتجاج (عليه السلام) لتفصلَ القولَ فيها؛ استنادًا إلى نصوصٍ قرآنيةٍ كريمة واضحة التّفسير والمعنى، ويثبّت ما أرادَ قوله بالحجّة والبرهان والدّليل القاطع من طريق كلام الله عزّ وجلّ، ما دلّ وثبتَ أنّ لا إمكانيّة لرؤية الله تعالى بالعين المجرّدة، وإنّما ما أرادت الآيات الكريمات إيضاحه هو أنّ تلك الرّؤية هي رؤية قلبيّة، لا

بصريّة، وبدليل احتجاج الإمام عليّ (عليه السلام) في ذلك في كتاب نهج البلاغة من القرآن الكريم.

- قوّة احتجاج الإمام عليّ (عليه السلام) على المحرّفين في الدّين:

قد تكون من أهمّ القضايا وأكثرها حسّاسيّة قضيّة وجود مدّعي الفهم بالدّين الإسلاميّ ممّن يوظّفونه وتفسيرات قرآنه الكريم وكلام الله تعالى تبعًا لأهوائهم، وخدمةً لمآربهم الشّخصيّة في الدّنيا، ما دفع بهم لتضليل النّاس والتّحريف بالدّين وبكلام الله سبحانه وكلام نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، كما التّحريف بالتّعاليم الإسلاميّة، ما دفع بالإمام عليّ (عليه السلام) للتّصدّي لمثل هؤلاء الّذين شكّلوا خطرًا كبيرًا على النّاس وأتباع الدّين الإسلاميّ الحقّ؛ وذلك في كتاب نهج البلاغة، بخُطَب عدّة وجّهها إلى النّاس لتنبيههم وتحذيرهم من هؤلاء المحرّفين بالدّين، الذين يهدفون لتضليل النّاس وحرفهم عن مسار الحقّ، عامدًا إلى تأكيد ما يقوله ويصوّبه من أخطائهم وتحريفهم، محتجًّا بآياتٍ كرياتٍ من القرآن الكريم تنبّه وتحذّر قبلًا من هؤلاء أعداء الدّين الحنيف، مفسّرًا وموضّحًا ما جاءَ في القرآن الكريم وفق معنًى صحيح وسليم لما جاء به القرآن الكريم من كلام الله تعالى، لا كما حرّفوه هم من أقواله سبحانه؛ وذلك في خطب عدّة واردة في الكتاب المدروس، منها خطبته الّتي يقول فيها: «**وَآخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ وَأَضَالِيلَ مِنْ ضُلَّالٍ وَنَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكًا مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ وَقَوْلِ زُورٍ قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ وَعَطَفَ الْحَقَّ عَلَى**

أَهْوَائِهِ يُؤْمِنُ النّاسَ مِنَ الْعَظَائِمِ وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ يَقُولُ أَقِفُ عِنْدَ الشّبُهَاتِ وَفِيهَا وَقَعَ وَيَقُولُ أَعْتَزِلُ الْبِدَعَ وَبَيْنَهَا اضْطَجَعَ»[١٨].

في الخطبة الشّريفة يقصد الإمام عليّ (عليه السلام) التّحذير من تلك الفئة الّتي تعمل على تحريف الدّين وإفساده بوصفهم بالجهلاء، بقوله: «وَآخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ»، ويقصد بهم تلك الفئة الّتي قدّمت نفسها في المجتمع على أنّها فئة العلماء بالدّين، لكنّها في الحقيقة تلك الفئة التي تقف مقابل فئة الصّادقين، الأتباع الحقيقيين للقرآن الكريم، وتلك الفئة من الجهلاء تهدف إلى استغلال كلام الله سبحانه، والعناوين الواضحة والموضوعات الّتي جاء بها القرآن الكريم من أجل خدمة مآربها، ونتيجةً لخطورة هذا الفعل، وخطورة تضليل أصحابها العامّة، أخذ الإمام عليّ (عليه السلام) بتفسير ما يمارسون فعله، بتقديم التّوضيح والتّفسير الصّحيح عن أفعالهم للعامّة في خطبته، بقوله: «**فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ وَأَضَالِيلَ مِنْ ضُلَّالٍ**»، فيعجب (عليه السلام) من أناسٍ يحاولون إملاء ما أخذوه عن جاهلين آخرين على العامّة؛ وهم في الأصل لم يقرأوا كلام الله تعالى قراءةً صحيحة، ولم يأخذوه أخذًا صحيحًا، بل نقلوه جهلًا، وتمسّكوا به، ونشروه وفرضوه على أتباعهم ومن والاهم، فتجلّت بلاغة وإعجاز ردّ الإمام عليّ (عليه السلام) وتوضيحه جهلهم وزور ما يقدّمون وبعده كلّ البعد عن حقيقة ما جاء في القرآن الكريم والتّعاليم الإلهيّة، وزور تقديمهم ما يقدّمونه على أنّه قضايا ومطالب علميّة، وأنّهم الأكثر جهلًا بالدّين وعلومه، فيشير (عليه السلام) إلى ذلك مؤكّدًا بقوّة احتجاجه بالقرآن الكريم على ذلك، للتّأكيد على العامّة أنّ ذلك خطأ كبير،

فقوله وبلاغته كان الحدّ الفاصل والموجّه للناس إلى الصّواب، وإنقاذهم من طريق التّضليل الّذي تحاول تلك الفئة جرّهم إليه؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[١٩].

وفي قوله (عليه السلام): «**وَنَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكًا مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ**»، يقصد الإمام عليّ(عليه السلام) منه توضيح أفعال هذه الفئة ونصبها مصائد الخديعة للناس والكذب، وذلك بأقوالها الكاذبة وأفعالها الخاطئة؛ فأصحابها جاهلون يتظاهرون بالعلم ومعرفة القرآن الكريم، لكنّهم على العكس من ذلك.

وأمّا في قوله: «**وَقَوْلِ زُورٍ قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ وَعَطَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ**»، يقصد عليه السلام أنّ هذهِ الفئة الجاهلة الخادعة للنّاس تقوم على تفسير القرآن الكريم تفسيرًا خاصًّا وفق تحليلها وآراء أصحابها، فهم يحمّلون آياته الكريمات ما يريدون بما يخدم مصالحهم الشّخصيّة الدّنيويّة؛ وبذلك هو تفسير باطل يعتمد على تفسير القرآن اعتمادًا خاصًّا، لا كما نزل بالحقّ لجميع النّاس.

وأمّا قوله (عليه السلام): «**يُؤْمِنُ النَّاسَ مِنَ الْعَظَائِمِ وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ يَقُولُ أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ وَفِيهَا وَقَعَ**»، يقصد بذلك توضيح وقوع هذه الفئة في الجهل والشّبهة فيما تفسّره وتنقله للنّاس، وفي هذا أمر خطير، فالشّبهة: أي: اختلاط الأمر، يقول «ابن منظور»: «المشتبهات من الأمور المُشكلات، وتقول: شبّهت عليّ يا فلان إذا

اختلط عليك، واشتبه الأمر إذا اختلط، واشتبه على الشّيء»[٢٠]، ويقصد أنّ هؤلاء وقعوا بجهلهم؛ لأنّ من لا يعلم الشّبهة ما هي، كيف يحقّ له الوقوف فيها وعندها، ويشيعها بين النّاس، وهو لا يأمن من كونها غير شبهة على الحقيقة.

وقوله: «**اعتزلَ البدع، وبينها اضطجع**»، في ذلك إشارة منه (عليه السلام) إلى تضعيف مذاهب العامّة، والحشو الّذي أظهر رفض هذه الفئة النّظر العقليّ، وقول أصحابها: نعتزل البدع، ولكنّهم في حقيقة الأمر واقعون فيها، وكلّ ما يصرّحون به بشأن الدّين قائم على بدعة.

ويشير الإمام عليّ (عليه السلام) في هذه القضية إلى الأساليب الدعائيّة لهؤلاء النّاس، فيقول: «إنّ هؤلاء ولغرض إثارة اهتمام النّاس واستقطاب الآخرين يجعلون النّاس يأمنون كبائر ذنوبهم، والعواقب الوخيمة لأعمالهم وأفعالهم، ويقلّلون من شأن الذنوب الكبيرة في أنظار النّاس، يشجّعونهم على ارتكابها، ويهوّنون اقتراف الجرائم والمعاصي، ويصوّرونها سهلة في أعين النّاس، وهم في الحقيقة إنّما يُضعفون الحميّة الدينيّة والخوف من الله لدى النّاس بانتهاكهم الحرمات»[٢١].

من هنا بعد تحليل الخطبة الشّريفة، ومحاولة عرض القضيّة الحسّاسة الّتي جاءت بها، وقصد الإمام عليّ (عليه السلام) من عرضها والتّوجّه بها إلى العامّة منبّهًا ومحذّرًا، ندرك قيمة أهمّيّة بلاغة احتجاجاته بالآية القرآنيّة الكريمة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ

رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾، والّتي تنصّ على تحذير الله سبحانه وتعالى من أولئك الشّياطين من الجنّ والإنس الذين يرمون إلى تضليل النّاس، ومن قبلهم الأنبياء والرّسل. «يقول تعالى في الآية: وكما جعلنا لك -يا رسول الله- أعداءً يخالفونك ويعادونك جعلنا لكلّ نبي من قبلك أيضًا أعداءً، فلا يهيدنك ذلك..، كما قال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾[٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾[٢٣]، وقال تعالى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢٤]، وقال ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ: إنّهُ لم يأتِ أحدٌ بمثل ما جئتَ به إلّا عودي، وقوله: (شياطين الإنس والجنّ) بدلًا من (عدوًّا)؛ أيْ: لهم أعداءً من شياطينِ الإنس والجنّ، ومن هؤلاء وهؤلاء، قبّحهم الله ولعنهم»[٢٥].

- الاحتجاج بحقيقة القرآن الكريم ومُصطلحاته كتابًا سماويًّا مُنزّلًا على الرّسول ﷺ لكلّ المشكّكين:

أكّد الإمام عليّ (عليه السلام) في كتاب «نهج البلاغة حقيقة القرآن الكريم وقوّته، وصحّة ما جاء فيه من كلام الله تعالى، وتحديدًا في ظلّ وجودِ المشكّكينَ فيه، وبما جاءَ من آياتٍ كثيراتٍ متشابهات ومختلفات في آن في نظرهم، وذلك في غير موضعٍ من كتابه، مؤكّدًا أخذَ القرآن من رسول الله ﷺ قراءةً وإملاءً وتدوينًا، بخطّ يدهِ، مُحصيًا المصطلحات القرآنيّة وتطبيقاتها، ومؤكّدًا حصولَه عليها من أخذها من النّبيّ محمّد ﷺ.

وقبل الولوج في ذلك، لا بدّ من الإشارة إلى كلام الإمام عليّ (عليه السلام) في معرض إجابتهِ عن مسائل «ابن الكوّاء» فيما ادّعاهُ من تناقض القرآن، «قال: ويحك يا ابن الكوّاء، جاء القرآن ليصدق بعضه بعضًا، لا يكذب بعضه بعضًا»[٢٦].

ومن ذلك ما ورد في خُطَبِ «نهج البلاغة» من إلقائهِ (عليه السلام) الضّوء على هذه المصطلحات ما جاءَ في الخطبة الأولى له (عليه السلام) الّتي أعطى فيها ما يُقارب ثلاثينَ مُصطلحًا قرآنيًّا، وذلكَ في قوله: «**كِتَابَ رَبِّكُمْ مُبَيِّنًا حَلَالَهُ وَحَرامَهُ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، وَرُخَصَهُ وَعَزَائِمَهُ، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ، وَعِبَرَهُ وَأَمْثَالَهُ، وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ، مُفَسِّرًا جُمَلَهُ، وَمُبَيِّنًا غَوَامِضَهُ، بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ عِلْمِهِ، وَمُوَسَّعٍ عَلَى العِبَادِ فِي جَهْلِهِ، وَبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الكِتَابِ فَرْضُهُ، وَ مَعْلُوم فِي السّنَّةِ نَسْخُهُ، وَوَاجبٍ فِي السّنَّةِ أَخْذُهُ، مُرَخَّصٍ فِي الكِتابِ تَرْكُهُ، وَبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ، وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ، وَمُبَايَنٍ بَيْنَ مَحَارِمِهِ، مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ، أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ، وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ، ومُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ**»[٢٧]».

يتضّح من هذا النص أن الإمام عليّ (عليه السلام) يقصد أنّ الله تعالى خلّفَ في الأمّة النّبيَّ محمّدًا صلى الله عليه وآله وسلم، والنّبيُّ محمد صلى الله عليه وآله وسلم بيّن لهذه الأمّة ولأجلها كتابًا مقدّسًا مبيّنًا في آياته ومعانيه الإسلاميّة الواضحة والبيّنة، وقد خلّفهُ لهم «طريقًا واضحًا، وعَلَمًا قائمًا، والعلم المنار يُهتدى به»[٢٨].

كما بيّن الإمام عليّ (عليه السلام) أنّ القرآن الكريم هو الكتاب المبيّن لما حلّله الله وما حرّمه للإنسان، فما حلّله كالنّكاح وسواه، وما حرّمه كالزّنا وسواه، وما من شأنه تنظيم علاقة الرّجل بالمرأة، كما انّه كتابٌ مبيّن للفرائض التي أوصى بها الله تعالى عباده، ومن هذه الفرائض الصّلاة والصّيام والزّكاة، «فالفضائل هي النّوافل، والفرائض كفريضة الصّبح»[٢٩].

ومن آياته أيضًا (ناسخه ومنسوخه)، ويقصد بذلك الاحتجاج بقوله تعالى: ﴿اقتُلوا المشركين﴾[٣٠]، والمنسوخ احتجاجه بقوله تعالى: ﴿لا إكراهَ في الدّين﴾[٣١].

ومنها رُخَصه وعزائمه، فالرّخص كقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضطُرَّ في مخمصة﴾[٣٢]، والعزائم، كقوله: ﴿فاعلَمْ أنّهُ لا إله إلّا الله﴾[٣٣].

ومنها خاصّه وعامّه، تحجُّجًا بقوله تعالى: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾[٣٤]، وقصده بالعامّ كالألفاظ الدّالّة على الأحكام العامّة لسائر المُكلّفين، عملًا بقوله تعالى: ﴿أقيموا الصّلاة﴾[٣٥]، كما جاءَ في المراد من الخاصّ الأمور العامّة، عملًا بقوله تعالى: ﴿وأوتيتَ من كلِّ شيء﴾[٣٦]، أو من (عامّه) بالأمور الخاصّة، ولك من قوله تعالى: ﴿واللَّهُ بكُلِّ شيءٍ عليم﴾[٣٧].

يقول: «الله محيط بكلّ شيء عالم به، فاحذروا أن تقولوا خلاف ما يعلم من ضمائر صدوركم، فينالكم عقوبته، فإنه لا يخفى عليه شيء»[٣٨].

ومن القرآن الكريم العِبَر والأمثال، وذلك ما أرادهُ (عليه السلام) في قوله: «وَعِبَرَهُ وَأَمْثَالَهُ»، وذلك ما جاءَ في القرآن الكريم من أمثالٍ وعِبَر، كقصّة أصحاب القيل، وأصحاب الكهف، وما حلّ بقومِ هود ولوط، ومثَلُ ذلك ما جاءَ في آياتٍ كريماتٍ كثيرات، كالآية الكريمة التي تبيّن العِبرة ممّا حلَّ بقومِ هود: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَاۖ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾[٣٩]، والآية الكريمة في المَثَل: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾[٤٠]، إلى ما جاءَ في نهاية المقطع من الخطبة الشّريفة المُتحدّثة عن إعجازِ القرآن الكريم ومصطلحاته الّتي جاءت في كلّ ما يخصّ الدّنيا والإنسان والكون، فجاءت حجّة الإمام عليّ (عليه السلام) بالقرآن الكريم دليلًا دامغًا وقاطعًا على فضل القرآن الكريم، ولإثبات هذه المصطلحات بالدّليل القاطع، لكلّ من يسأل مُستفسرًا عن معناها، ولكلّ المشكّكين بهذه المصطلحات.

- قوّة الاحتجاج في نهج البلاغة في موضوع الاكتشافات العلميّة الواردة في القرآن الكريم:

وردت في القرآن الكريم آيات كريمات تتحدّث في موضوع الاكتشافات العلميّة، وهي آيات معجزات قامت كثير من الدول الغربيّة بالاعتراف بفضلها، وفضل القرآن الكريم والإسلام في الحديث مسبَّقًا عن عديدٍ منها، ومن المواضيع العلميّة، الأمر الّذي ما زالَ يُدرَّس في الغرب في بعض الدّول.

وقد احتجّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فيما يخصّ هذهِ القضايا من القرآن الكريم، وذلك كتاب (نهج البلاغة)، ووضّحها وفسّرها وتأكيدها بالدّليل القاطع من القرآن الكريم نفسه.

ومن هذهِ القضايا موضوع الاكتشافات الجغرافيّة المُعضلة والعصيّة على إدراك أيّ شخص في ذلك الزّمن، وجوابه بشأن سؤالٍ مُعضل في كيفيّة التّوازن القائم على الأرض، وهو ما يسمّى اليوم بقضيّة (الجاذبيّة الأرضيّة)؛ وهو الأمر الّذي عجز عن معرفته وفهمه واستيعابه بشر آنذاك، وعلى وجه التّحدّي في ظلّ عدم وجود أجهزةٍ حديثة ومُخترعات علميّة تمكّن من كشف ذلك والبحث فيه قديمًا.

وقد تطرّق لها الإمام عليّ (عليه السلام) لها في كتاب نهج البلاغة، محتجًّا لها من القرآن الكريم، وذلك في خطبٍ عدّة له، منها قوله: «**فمن شواهدِ خَلقُ السّماواتِ مُوطّداتٍ بلا عمد، قائماتٍ بلا سند**»[٤١]، والمقصود من قوله (مُوطّدات)؛ أيْ: مُثبّتاتٍ من دون أعمدة تستند عليها، كما قصد بكلمة (قائمات) أي واقفات ومثبّتات أيضًا.

وكان احتجاجه لإثبات هذهِ القضيّة العلميّة ممّا وردَ في القرآن الكريم قبل اكتشاف العلم للقوانين الفيزيائيّة الّتي يقوم عليها الكون، وذلك من مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[٤٢]، **وفي التّفسير في قوله: «بغيرِ عُمد أنّه لو كانَ لها عُد لرُئِيَت»**[٤٣].

وقد اجتهد كثيرون في تفسير كلام الإمام عليّ (عليه السلام)، وتعدّدت التّفسيرات والمسمّيات العلميّة لقضيّة الجاذبيّة، منها تسميتها (بالقوّة الجاذبة)، ومنها تسميتها بـ(القوّة المعنويّة)، ومنها فيما بعد ما سمّيَ علنًا (قانون الجاذبيّة)، ومنهم من أسماه بالآلة الحسّيّة.

وقد جاءَ كلام الإمام (عليه السلام) في ذلك مفضيًا إلى كلّ ما أسموه، وقد أكّد ذلك عدد من المفسّرين، منهم «مغنية» الّذي قال في تفسير ما ورد في نهج البلاغة: «إنّ الله تعالى خلقَ الكواكب، وأودعَ فيها قوانين تفعل فعلها وتؤثّر أثرها، ومنها قانون الجاذبيّة فيها وفي جميع الأجسام»[٤٤]، وهذا ما يدلّ على ما ورد في قول الإمام (عليه السلام) ومقصده من كلمتي (عُمد ، سند).

كما وردت هذه القضيّة في أكثر من خطبة شريفة، منها قوله (عليه السلام): «**اللهمّ داحي المدحوات، وداعم المسموكات**»[٤٥]، والمقصود بقوله «داحي المدحوات»؛ هو حديثه (عليه السلام) عن شكل الأرض، وأنّ شكلها بيضويّ، وهذا ما ظهر فيما بعد أنّه جاءَ متّفقًا مع ما جاءَ به العلماء والباحثون الّذين بحثوا في شكلها وأقرّوا في أنّها كرويّة، في حين اختلف قسمٌ آخر على أنّها منبسطة، ليأتيَ تفسير «البحرانيّ» لكلام الإمام (عليه السلام) في هذهِ القضيّة، وإثبات مقصد الإمام (عليه السلام) المتّفق مع حقيقة شكلها، بقوله: «ما دامت الأرض ثبتت كرة لا بدّ من تأويله»[٤٦]، حاثًّا على البحث في تأويل وتفسير الإمام (عليه السلام)، مشيرًا لأهمّيّته.

وقد اختلفَ كثيرون في مقصد الإمام عليّ (عليه السلام) بشأن كرويّة الأرض وانبساطها، وفي حقيقة الأمر، فإنّ قوله ومقصده في أنّ الأرض مبسوطة للخلق، أو في أنّها كلّ قطعة مبسوطة من الأرض، على قولهم فإنّ هذا لا ينافي كرويّة الأرض، بل يؤكّد ذلك، وفي الوقت ذاته، فإنّه لا ينافي كون الأرض بيضويّة الشّكل، مع الحرص على قول أنّ الإمام (عليه السلام) في كلامه «يحمل إشارةً واضحةً إلى أنّ الأرض بيضويّة، ولكن كلام الشّارحين في هذا المقام لا ينافي كون الأرض بيضويّة»[٤٧].

أمّا في قوله «داعم المَسموكات»، فيقصد به السّماوات؛ أي «إنّ داعم المسموكات؛ أي حافظ السّماوات المرفوعات من الهوى بدعامة، وهيَ قوّته الحافظة سبحانه وتعالى»[٤٨].

كما وردت أكثر من إشارة في القرآن الكريم إلى موضوع الجاذبيّة، قوله تعالى أيضًا: ﴿وما يُمسكُهُنَّ إلّا الرّحمن﴾[٤٩]؛ وقد جاءَ في تفسير قوله تعالى في كلمة (يُمسكهنّ) الإشارة إلى الكواكب، وأنّه «ما من قوّةٍ تمسك الكواكب من السّقوط في الهواء إلّا الله سبحانه، فيُمسك الهواء تحت الطّير، حتّى لا ينزل فيه، أو بمعنًى آخر، إنّ جسد الطّير ثقيل، والجسم الثقيل يمتنع بقاؤه في الجوّ مُعلّقًا من غير دعامة تحته ولا فوقه، فوجبَ أن يكونَ الممسك له في ذلك الجوّ هو الله تعالى»[٥٠].

وبذلك، فقد ركّز القرآن الكريم على موضوع الجاذبيّة، في معرض حديثه عن المادّة وأشكالها في الكون، سواء في السّماء، أو البرّ.

وفي قضيّة الجاذبيّة أكبر دلالة على قدرة الله سبحانه وتعالى، وإشارة القرآن الكريم إليها قبل أن يعيَها العلم، «فمن سخّر الهواء هذا التّسخير هو على كلّ شيءٍ قدير»[٥١].

- احتجاج الإمام علي (عليه السلام) على قضيّة خلق الإنسان وتكوينه:

لقد تجاوزت حكمة الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) كلّ التصوّرات، وذلك في تفسيراته وشروحاته واحتجاجه بالقرآن الكريم على مختلف القضايا العلميّة الّتي سُئلَ عنها، أو وردت في القرآن الكريم، وهي قضايا كثيرة اختار البحث منها قضيّة خلق الإنسان وتكوينه، انطلاقًا من أنّها تعدّ من أكثر القضايا العلميّة إعجازًا، فمن ينظر ويتفكّر في تكوين الإنسان وحجمه بادئ ذي بدء، يعني أنّه ما من قادرٍ على خلقِ مثلهِ إلّا خالقٌ واحد جبّار عزيز مقتدر.

يقول الإمام عليّ (عليه السلام) في كتاب (نهج البلاغة) في ذلك: «**أم هذا الّذي أنشأهُ في ظُلَماتِ الأرحام، وشغف الأستار، نطفةً دِهاقًا، وعلقةً محاقًا، وجنينًا وراضعا، ووليدًا ويافعًا، ثمّ منحهُ قلبًا حافظًا، ولِسانًا لافظًا، وبصرًا لاحظًا**»[٥٢].

يتّضح من الخطبة الشّريفة تمام الوضوح ذكر الإمام عليّ (عليه السلام) لمراحل تشكّل الجنين وتكوّن الإنسان في رحم الأمّ، محتجًّا بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٥٣].

وتعدّدت التفسيرات في قوله (عليه السلام)، ومنها من فسّر قوله عن «الشّغف بالغلاف، وأنّ الجنين أنشأه في البداية من نطفة متتابعًا صبّها، ثمّ علقة، ثمّ يصوّر الجنين فيها؛ إذ خفيَ فيها ومُحِق كلّ شكل وصورة، ثمّ جنينًا؛ وهو الولد بعد تصويره مادامَ في بطن أمّه، ومن ثمّ يكبر هذا الجنين بعد ولادته»[٥٤].

وبعضهم الآخر قالَ في التفسير قولًا أكثر دقّةً ومقاربةً بين العلم وما قاله الإمام (عليه السلام) في مسألة غاية في الدقّة، وهيَ مسألة تكوّن النّطفة، يقول بعضهم: «نطفة دهاقًا؛ أي: المتتابعة في دهقها وصبّها، وهي الممتلئة من جراثيم الحياة»[٥٥]، وهو الأمر الأكثر تطابقًا مع المضمون العلميّ والحقائق العلميّة الّتي جاءت فيما بعد.

نتائج البحث و توصياته:

بتناول قوّة الاحتجاج القرآنيّ وبلاغته في كتاب «نهج البلاغة» لإمام المسلمين وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) تبدّت لنا بلاغته العظيمة، وسعة معرفته ومقدرته على تفسير القرآن الكريم تفسيرًا صحيحًا لا يقبل شكًّا، ولا يترك في الأذهان حيرة، وذلك في مختلف المواضيع الّتي تهمّ الإنسان والكون.

وقد اختارَ هذا البحث قضايا عدّة هي من أهمّ القضايا الّتي تعرض للإنسان المسلم في حياته، وتقوّي إيمانه وصلته بالله عزّ وجلّ، وقد عمد الإمام عليّ (عليه السلام) في كتاب «نهج البلاغة» بخطبه الشّريفة إلى العمل على تعزيز ثقة الإنسان المؤمن بالله تعالى وبكتابه العزيز وما جاء فيه؛ فكان بما جاءَ في خطبه مشكاةً تنير فكر الإنسان السّائل والمتسائل عن حقيقة تلك القضايا الّتي عرض لها البحث، وتهديه بتأكيدها والاستدلال عليها والاحتجاج من أجلها من كتاب القرآن الكريم، احتجاجًا صحيحًا لا أيّما احتجاج، احتجاجًا لا يترك للسّامع مجالًا لأن يتوه أو ألّا يقتنع، فيهتدي إلى حقيقة تلك القضايا بفضل ورودها في كتاب الله عزّ وجلّ وحديثه عنها وتأكيدها؛ وذلك بفضل ما امتلكه الإمام عليّ (عليه السلام) من قوّةٍ في البلاغة والاحتجاج والتّفسير والإقناع، مستندًا إلى كلام الله عزّ وجلّ وكتابه العزيز.

الهوامش :

١- الرّضيّ، الشّريف، نهج البلاغة، تحقيق: قيس بهجت العطّار، إيران، الطبعة الأولى، مؤسسة الرّافد للمطبوعات، ٢٠٠٠م، الخطبة (١٥٦)، ص١١٧.

٢- خان، طالب، الإمام عليّ القرآن النّاطق، (د،ط)، دار الإرشاد للطباعة والنّشر، لبنان، ٢٠٠٦م، ص١٣٤.

٣- لجنة التأليف بالمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السّلام (قم)، أعلام الهداية «الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام)»، مطبعة مؤمن قريش، ط٣، ١٤٢٧ه، ج٢، ص١٨٦.

٤- جرداق، جورج، الإمام علي ﷺ صوت العدالة الإنسانية، الطبعة الأولى، مطبوعات دار الأندلس (النّجف الأشرف)، بيروت – لبنان، ٢٠١٠م، ص٢٨٣.

٥- المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د،ط)، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج١٠، ص٦٤.

- الصّالح، د. صبحي، نهج البلاغة، الطّبعة الرّابعة، دار الكتاب المصري (القاهرة)، دار الكتاب اللبناني (بيروت)، ٢٠٠٤م، ص٢٥٨.

٦- الصّالح، د. صبحي، نهج البلاغة، ص٨٧-٨٨.

٧- القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية (١٤٣).

٨- المصدر السّابق ، سورة فُصّلت، الآية (٥٣).

٩- البحرانيّ، كمال الدين بن ميثم بن علي بن ميثم (ت٦٧٩ه)، شرح نهج البلاغة، البحرين، الطبعة الثانية، دار الحبيب للطباعة والنّشر، ٢٠٠٨م، ج٢، ص٢٦٤

١٠- القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية (١٠٣).

١١- البحرانيّ، شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٢٦٥.

١٢- الكاظمي، رضا شاه، العدل والذكر (تعريف بروحانيّة الإمام علي، ترجمة: سيف الدين القصير، مصر، الطبعة الأولى، دار السّاقي، ٢٠٠٩م، ص ١٩٣.

١٣- نفحات الولاية (شرح عصري جامع لنهج البلاغة)، إعداد: عبد الرّحيم الحمراني، الطبعة الأولى، دار جواد الأئمّة عليه السّلام، ٢٠٠٦م، ج٧، ص١٤٧.

١٤- الرّضي، الشّريف. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٥، ص٣٥٧.

- المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، الجزء الثالث عشر، ص ٤٤.

١٥- الطّبرسي، طالب، الاحتجاج، تحقيق: محمد باقر الخرسان، (د،ط)، دار النّعمان للطباعة والنّشر، النّجف الأشرف، ١٩٦٦م ص ٣٠٥.

١٦- المصدر نفسه،، ص٣٠٥.

١٧- الرّضيّ، الشّريف، نهج البلاغة، الخطبة (٨٩)، ص ٣٩٢.

١٨- الرّضيّ، الشّريف، نهج البلاغة، الخطبة (٨٦)، ص ١٥٣.

١٩- القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية (١١٢).

٢٠- ابن منظور، لسان العرب، (د،ت)، دار صادر، بيروت - لبنان، ٢٠١٤م، الجزء الثالث عشر، ص ٥٠٥.

٢١- مصباح اليزدي، آية الله محمد تقي، تجلّي القرآن في نهج البلاغة، شبكة الإمامين الحسنين عليهما السّلام للتراث والفكر الإسلاميّ، ١٩٣٤م، ص٩٣.

٢٢- القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية (١٨٤.).

٢٣- القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية (٣٤).

٢٤- المصدر السّابق ، سورة فصّلت، الآية (٤٣).

٢٥- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص١٥٣.

٢٦- القبانجي، حسن، مُسند الإمام علي عليه السلام، ضبط وتخريج: السّيّد الطاهر السّلامي،

الطبعة الأولى، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٠م، الجزء الثاني، ص١٧.

٢٧- الرّضيّ، الشّريف، نهج البلاغة، الخطبة الأولى، ص٥٢-٥٣.

٢٨- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د،ط)، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٥٩م، الجزء الأول، ص ١٢٠.

٢٩- ينظر: المصدر نفسه، شرح نهج البلاغة، ص ١٢٠.

٣٠- القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية (٥).

٣١- المصدر السّابق ، سورة البقرة، الآية (٢٥٦).

٣٢- المصدر السّابق ، سورة المائدة، الآية (٣).

٣٣- المصدر السّابق ، سورة محمد، الآية (٩).

٣٤- القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية (٥٠).

٣٥- المصدر السّابق ، سورة البقرة، الآية (٤٣).

٣٦- المصدر السّابق ، سورة النّمل، الآية (٢٣).

٣٧- المصدر السّابق ، سورة البقرة (٢٨٢)، والنّساء، (١٧٦)، والنّور (٣٥)، وسورة الحجرات (١٦)، وسورة التغابن (١١).

٣٨- الطّبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: الشّيخ خليل الميس، ضبط: صدقي جميل العطّار، (د،ط)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م،ص ٥١٧.

٣٩- القرآن الكريم، سورة هود، الآية (٧٦).

٤٠- المصدر السّابق ، سورة البقرة، الآية (٧).

٤١- الرّضيّ، الشّريف، نهج البلاغة، ص ٣٠٩.

٤٢- القرآن الكريم، سورة لقمان، الآية (١٠).

٤٣- الطّوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن، التّبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد العامي، ط١،

مكتب الإعلام الإسلامي، طهران، ج٦، ص٢١٣.

- الرّازي، فخر الدين محمد بن عمر (٦٠٦ه)، التّفسير الكبير، ط٣، دار إحياء التراث الرّبي، بيروت، (د،م)، (د،ت)، ج٣، ص٤٢.

٤٤- عبد الكريم علي، د. علي، علم الجغرافية الطّبيعيّة، ط١، دار الطباعة الحديثة، البصرة، ١٩٦٩م، ص٢٨.

- سلّوم، دجلة هادي، تفسير بعض الظّواهر الفيزياويّة، ط١، مطبعة سلمى، ١٩٦٩م، ص٢٦.

٤٥- الرّضي، الشّريف، نهج البلاغة، ص١٢.

٤٦- البحراني، شرح نهج البلاغة الكبير، ج٢، ص٣٧٢.

٤٧- الحسيني الشّيرازي، السّيّد محمد، توضيح نهج البلاغة، (د،ط)، دار تراث الشّيعة، طهران، (د،ت)، ج١، ص ٢٧٨.

- التستري، الشّيخ محمد علي، بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة، (دت)، دار أمير كبير للنشر، طهران، ١٣٧٦ه، ج٢، ص ٢٣٠.

٤٨- أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٦، ص ١٣٩.

٤٩- القرآن الكريم، ص ٢٧

٥٠- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق لجنة من العلماء، ط١، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٥ه، ج٦، ص ١٨٥.

٥١- الطبري، ، جامع البيان في تفسير القرآن، ج٢٩، ص١١.

- الطّوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد العاملي، ط١، مكتب الإعلام الإسلامي، طهران، ١٤٠٩ه، ج١٠، ص٦٧.

٥٢- الرّضي، الشّريف ، نهج البلاغة، ص ١٤٢.

٥٣- القرآن الكريم، سورة المؤمنون، الآية (١٤).

٥٤- الرّاوندي، قطب الدين أبي الحسن سعيد بن هبة اله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قم، إيران، ١٤٠٦ه ، ج١، ص ٣٤٣.

٥٥- الموسوي، السّيّد عبّاس علي، شرح نهج البلاغة، ط١، دار الرّسول صلى الله عليه وآله، بيروت، ١٤١٨ه، ج١، ص ٤٩٤.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. البحرانيّ، كمال الدين بن ميثم بن علي بن ميثم (ت٦٧٩ه)، شرح نهج البلاغة، البحرين، الطبعة الثانية، دار الحبيب للطباعة والنّشر، ٢٠٠٨م.

٢. التستري، الشّيخ محمد علي، بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة، (دـت)، دار أمير كبير للنشر، طهران، ١٣٧٦هـ.

٣. جرداق، جورج، الإمام عليّ عليه السلام صوت العدالة الإنسانيّة، الطّبعة الأولى، مطبوعات دار الأندلس (النّجف الأشرف)، بيروت – لبنان، ٢٠١٠م.

٤. الحسيني الشّيرازي، السّيّد محمّد، توضيح نهج البلاغة، (د،ت)، (د،ط)، دار تراث الشّيعة، طهران.

٥. الحمراني، عبد الرّحيم، نفحات الولاية (شرح عصري جامع لنهج البلاغة)، الطبعة الأولى، دار جواد الأئمّة عليهم السلام، ٢٠٠٦م.

٦. –خان، طالب، الإمام علي عليه السلام القرآن النّاطق، (د،ط)، دار الإرشاد للطباعة والنّشر، لبنان، ٢٠٠٦م.

٧. الرّازي، فخر الدين محمد بن عمر (٦٠٦ه)، التّفسير الكبير، ط٣، دار إحياء التراث الرّبي، بيروت، (د،م)، (د،ت).

٨. الرّاوندي، قطب الدين أبي الحسن سعيد بن هبة الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قم، إيران، ١٤٠٦ه.

٩. الرّضيّ، الشّريف، نهج البلاغة، تحقيق: قيس بهجت العطّار، إيران، الطبعة الأولى، مؤسّسة الرّافد للمطبوعات، ٢٠٠٠م.

١٠. سلّوم، دجلة هادي، تفسير بعض الظّواهر الفيزياويّة، الطّبعة الأولى، مطبعة سلمى، ١٩٦٩م، ص٢٦.

١١. الطّبرسيّ، أبو عليّ الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق لجنة من العلماء، الطّبعة الأولى، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٥ه.

١٢. الطّبرسي، طالب، الاحتجاج، تحقيق: محمّد بار الخرسان، (د،ط)، دار النّعمان للطباعة والنّشر، النّجف الأشرف، ١٩٦٦م.

١٣. الطّبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: الشّيخ خليل الميس، ضبط: صدقي جميل العطّار، (د،ط)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

١٤. الطّوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد العاملي، الطبعة الأولى، مكتب الإعلام الإسلامي، طهران، ١٤٠٩ه.

١٥. عبد الكريم علي، د. علي، علم الجغرافية الطّبيعيّة، الطبعة الأولى، دار الطباعة الحديثة، البصرة، ١٩٦٩م.

١٦. القبانجي، حسن، مُسند الإمام عليّ(عليه السلام)، ضبط وتخريج: السّيّد الطّاهر السّلاميّ، الطبعة الأولى، منشورات مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، ٢٠٠٠م.

١٧. الكاظميّ، رضا شاه، العدل والذكر (تعريف بروحانيّة الإمام علي(عليه السلام))، ترجمة: سيف الدين القصير، مصر، الطبعة الأولى، دار السّاقي، ٢٠٠٩م.

١٨. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الطّبعة الأولى، دار ابن حزم، ٢٠٠٠م.

١٩. ابن منظور، لسان العرب، (د،ط)، دار صادر، بيروت – لبنان، الجزء الثالث عشر، ص ٥٠٥.

٢٠. لجنة التأليف بالمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السّلام (قم)، أعلام الهداية «الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)»، الطبعة الثالثة، مطبعة مؤمن قريش، ١٤٢٧ه.

٢١. مصباح اليزدي، آية الله محمد تقي، تجلّي القرآن في نهج البلاغة، شبكة الإمامين الحسنين عليهما السّلام للتراث والفكر الإسلاميّ، ١٩٣٤م.

٢٢. المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د،ط)، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٢٣. الموسوي، السّيّد عبّاس علي، شرح نهج البلاغة، الطبعة الأولى، دار الرّسول صلى الله عليه وآله، بيروت، ١٤١٨ه.